

السائدة. فالشباب يرصدون إشكاليات ضخمة فى كل مكان حولهم".  
لا يوجد شك فى أن جميع تلك العناصر ، وغيرها، تساهم بدرجات متفاوتة. ولكنى أومن بأن هناك سبباً آخر، سبباً لم يسبق لك الاستماع له، ويتطلب فى الحقيقة اهتمامنا الجاد. أزعم أن الأيديولوجيات الاجتماعية الراديكالية لها نصيبها الذى تستحقه من اللوم، خاصة وهى تتسرب إلى الفصول التعليمية وإلى المراكز الاستشارية. فى يوم ما كنت أعتقد أن الأولوية الوحيدة القصوى لدى الطب النفسى الجامعى وعلم النفس الطلابى هى سلامة الطلاب.

لكنى لم أعد على هذا القدر من السذاجة.

السياسات الراديكالية متغلغلة فى مهنتى، إلى الحد الذى أضحت معه طاردة لكل مبادئ العقل والفضيلة السليمة. إلى عهد قريب كان الطبيب النفسى يُسمّى علاقات الجنس الكاجوال نشاطاً "غير عقلانى" و"خاوى". قبل أن يكتم الصواب السياسى عقولنا وأفواهنا فى التسعينيات، كان طبيب الجامعة يؤكّد للطلاب أن الحب والعفة يحققان البهجة ولديهما القدرة على تحرير المشاعر، وهما أفضل تأمين ضد الأمراض المنتقلة جنسياً. كان الإجهاض والحمل غير المرغوب فيه قضايا جادة ذات شأن عظيم. استوعبنا حقيقة أن الرجال والنساء جنسان مختلفان للغاية، ولم يكن لدينا خوف من الاعتراف بذلك. كان واضحاً أن الغراميات خارج إطار العلاقات الجادة قد تشكّل خطراً، وأن الحكمة قد تقتضى من امرأة شابة أن تنتظر حتى تجد شخصاً جاداً. كان أى مرض منتقل جنسياً - حتى ولو كان من السهل شفاؤه - يُعتبر مسألة خطيرة. ساهمت مهارات ضبط النفس فى بناء الشخصية، وكان بناء الشخصية غاية قيمة تستحق البذل. كانت بعض السلوكيات تُعتبر غير طبيعية، وكان من يمارسونها فى حاجة للمساعدة. كان الزواج التقليدى والأبوة والأمومة خطوات حياتية قيمة. أن تبحث عن

معنى وأن تبذل التضحيات من أجل شيء أسمى - كانت تلك مساعي نبيلة ترسم ملامح إنسانيتنا .  
لكن الأمور الآن قد تغيّرت.

الآن يُنصح الشباب والفتيات باستخدام الوسائل المطاطية، وأن يكون لهم عدد محدود من الشركاء (بالتقابل مع عدد غير محدود؟). هناك اتفاق ضمنى على التعددية الجنسية والتجريبية الجنسية: تتعاطى إحدى الدراسات التى تناولت طلاب الجامعة عن "شركاء الجنس الأساسيين والكاجوال". أصبحت الإصابة بواحد من الأمراض المنتقلة جنسياً من طقوس العبور والنضج، وكأنه ملمح ثابت ضمن تضاريس الحياة. الإجهاض هو استبعاد أنسجة غير مرغوبة، مثل عملية إزالة لوزتى الحلق. يشجّع مستشارو الحرم الجامعى طلابهم على الحصول على قسط كافٍ من النوم، وعلى تناول طعام صحى، وعلى ممارسة التمارين الرياضية بصورة منتظمة، وعلى منح أنفسهم وقتاً كافياً للاسترخاء. الأندية التى تمولها مصاريف الطلاب تحتفل بسلوكيات خطيرة. تؤمن النساء الشابات بإمكانية تأجيل الأمومة إلى ما لا نهاية، فصول صحة المرأة تعمل على توعيتهن فقط عن كيفية تجنب الحمل. الزواج التقليدى والأسرة المكوّنة من أم وأب هى مجرد خيار، هناك بدائل، وجميع تلك البدائل متساوية من حيث المشروعية.

تلك التغيّرات هى نتيجة أجنداث اجتماعية خادعة اقتحمت مجتمع الحياة الجامعية، ومن خلال عملى فى مركز الاستشارات، أشاهد التبعات بشكل يومى. السلوكيات الخطيرة ليست أكثر من خيارات شخصية، إصدار الأحكام ممنوع لأن ذلك قد يتسبّب فى جرح المشاعر. علينا أن نتعامل وكأنّ لدى الطلاب شركاء بلا توصيف نوعى: ما الفرق الذى يمكن أن يحدثه كون الشريك شاباً أو فتاة؟ أصبحت مُضطرةً لحضور ورش عمل "التعددية الثقافية" - من أجل زيادة حساسيتى ووعىي ومواجهة العنصرية الجنسية،

والعرقية، والفوييا من المثلية. يتم تشجيع فريق العاملين على حضور لقاء مع شخص متحول جنسياً وبحضور مُعالجه، والذي يصف رحلة التحول من أنثى إلى ذكر. يعلن رئيس الرابطة النفسية الأمريكية APA أن الديانات المنظمة هي مصدر رئيسي للظلم. وتعلن لجنة من تلك الرابطة قلقها مما أعتقده ومما أقوله. يطلبون منى ألا أفترض أبداً فى أى مريض ألتقيه أنه ذو ميول جنسية طبيعية مغايرة، أو أن النشاط الجنسي قد يؤدي إلى الحمل. على أن أتوقف عن التفكير فى أن الرجال والنساء "متضادان" كما فى تضاد الجنس و"الجنس الآخر". لا ينبغى أن أستخدم هذا المصطلح - كما تؤكد اللجنة - "حتى نتجنب الاستقطاب".

لقد تعرضت مهنتى للاختراق.

لا أستطيع أن أقوم بوظيفتى، مرضاى يعانون، وقد طفح الكيل. هذا الكتاب يقص حكايات طلاب فى الجامعة هم ضحايا التغلغل الراديكالى النشط فى مهنتى. جاء إلى هؤلاء التلاميذ وسط الأزمات طلباً للمساعدة. كانوا غالباً ينتحبون، وأحياناً ما كنت أنتحب معهم دون أن يدركوا. كانت حكاياتهم مثيرة للحرز والقلق ولا يمكن نسيانها.

بالرغم من استخدام "الحماية" التقطت "ستيسى" فيروس الإتش بى فى، وهو عدوى تنتقل عن طريق الجنس. تركّز فاعليات الصحة الجامعية على "الجنس الأكثر أمناً". لذا لم يعد أمامى مجال لمحاولة التشجيع على تغيير السلوكيات. هل ستتطور العدوى لديها سريعاً إلى مرض الهيريس التناسلى؟ من المحتمل جداً أن تفقد أماندا فرصة الأمومة، لأن برامج "الصحة النسائية" فى الجامعة تركّز على وسائل منع الحمل، وليس على الأسرة المستقبلية والتي ربما تكون قد أجلتها بالفعل أكثر من اللازم. هل يمكننى علاج حالة الأرق التى تعانى منها؟

برايان أقام علاقات عابرة كاجوال مع رجال آخرين فى الجامعة، لكن خضوعه لتحليل الإتش-أى- فى هو "خيار شخصى". وإطلاق الأحكام

يظل أمراً ممنوعاً تماماً. هل ستكون حياته - وحياة آخرين سواء - قصيرة؟ تعتقد هيثر أن النساء مثل الرجال، لذلك فهي حائرة إزاء علاقتها برجل تقيم معه علاقة جسدية من دون التزامات العلاقات الرسمية الرومانسية - هو يشعر بالسعادة. وهي تشعر بكرهية الذات. هل عقار الزولوفت<sup>(١)</sup> هو الإجابة؟

كان مرضاى يتألون، توجّهوا إلىّ، ولكن ما الذي بإمكانى فعله؟ على عكس غيرى من أطباء التخصصات الأخرى، فيداى مقيدتان. يحذّر أطباء القلب مرضاهم من الأحماض الدهنية وعدم كفاية ممارسة التمارين الرياضية. ويشجّع أطباء الأطفال على تناول الوجبات الصحية الخفيفة، وعلى ارتداء الخوذة الواقية أثناء التمرين، وعلى مناقشة موضوعات المخدرات والكحول. الجميع يُدين التدخين وأسيرة تسمير البشرة. ألا يُفترض بإخصائى الرعاية الصحية تقديم النصائح والتحذيرات إزاء أنماط حياة مرضاهم؟

فيما يبدو أن الإجابة فى مجال عملى هى لا. فأنا أرى كثيراً من المرضى يعرضون صحتهم للخطر - وأحيانا حياتهم - من خلال ممارسة سلوكيات شديدة الخطر. ولكن لا يُفترض بى سوى أن أقول "تأكد من أنك محمى". محمى؟ من أخدع؟ لقد ظننت "ستاسى" أنها محمىة. وكذلك اعتقدت هيثر. وهما الآن تدفعان الثمن.

حيث أعمل أصبحنا مرغمين على الدوران فى فلك قضايا معينة. بينما علينا أن نتجاهل تماماً قضايا أخرى. نستفسر من مرضانا عن التعرض للإيذاء أثناء الطفولة، ولكن ليس عن علاقات الأسبوع الماضى. نريد أن نعرف عدد السجائر وأكواب القهوة التى تتناولونها كل يوم، ولكن ليس عدد مرات الإجهاض التى مررت بها فى الماضى. نناقش الضغوط التى تنشأ عن توقعات

(١) مضاد للاكتئاب.

الوالدين والزيادة في المصروفات الدراسية، ولكن نتجاهل متاعب الهيربيس ومخاطر الانحلال الجنسي، وحساسية مواضيع الخصوبة التي تواجه النساء اللاتي تضعن مستقبلهن المهني في المرتبة الأولى. نجاهد لمكافحة الانتحار، ولكننا نتجنب المناقشات حول وجود الله والمعاني المتجاوزة الماورائية.

يمنح "التعليم الصحي" المؤدلج وغير الدقيق أبناعنا وبناتنا معلومات خاطئة، فيزيد من هشاشتهم. يتم تقديم فيرس الإتش أى فى وكأنه عدوى الفُرس المتكافئة. وبالرغم من معدلات الفشل للموسسة، لازالت الكوندوم تحظى بقدر لا نهائى من الترويج. تُخدع النساء الشابات بالاعتقاد بأنهن مثل الرجال بإمكانهن تأجيل الحمل إلى ما لا نهاية. يتم التحقير من شأن التبعات النفسية للإجهاض وللأمراض المنتقلة جنسياً. يحتوى موقع شهير من مواقع مجموعة "Ivy League" (١) إرشادات سلوكية لممارسات كان يتم تصنيفها عندما كنت أخضع للتدريب فى الثمانينيات باعتبارها اضطرابات عقلية. كان ذلك فى عصر ما قبل الكمبيوتر. ولكن منذ ١٩٩٤، لا تُعتبر السادية والمازوكية طبقاً لتصنيف الرابطة النفسية الأمريكية APA اضطرابات إلا إذا تسببت للشخص فى قدر من القلق أو الإعاقة. بعد عشر سنوات من هذا القرار المثير للجدل، تم الاحتفاء بهذا الموقع باعتباره "إسهاماً مدهشاً فى التنقيف الصحى من خلال التكنولوجيا".

لقد طفح بى الكيل ولم أعد أتحمّل شعور الغضب، لذلك قدمت هذا الكتاب "أجيال فى خطر". كنت أفضل تجنّب هذه الموضوعات. لكن هذا الكتاب جاء وطرق على الباب. اقتحم علىّ حياتى فصلاً فصلاً، مع كل واحد من التلاميذ الذين دخلوا مكتبى. لقد دفعتنى لقاء برايان، وأماندا، وصوفيا، وآخرين إلى معاينة الراديكالية التى اقتحمت مجال مهنتى

(١) مؤتمر رياضى يضم ثمانياً من مؤسسات التعليم العالى الخاصة فى شمال شرق الولايات المتحدة.

ودفعتني إلى التكلّم والمجاهرة. لكن تلك اللقاءات جاعتني أيضاً بالخوف والقلق. فما الثمن الذي سوف أدفعه لقاء مخالفتي للصواب السياسي؟ ربما لا تدرك ما بدأ بعض علماء النفس العاملين وراء الكواليس يُصرّحون به مؤخراً: "أن مجال علم النفس والطب النفسي وعلم الاجتماع قد تم السيطرة عليه من قبل أجندة ليبرالية متطرفة" وأن هناك "مافيا للمصالح الخاصة" تسللت عبر منظماتنا القومية. من المحتمل أنك لم تسمع بأن بعض وجهات النظر "تتعرض للتشهير والقمع"، وأن هناك "قصص رعب" من "الإسكات والتهديد"، وأن كثيرين لن يجاهروا بالحديث العلني خوفاً من التعرض للتسفيه، أو الهجوم الشرس، أو فقدان المكانة والمنصب. في كتاب عن تلك الحالة الخطيرة كتب رئيس سابق للـ APA يقول "عشت في عصر محاكم التفتيش الماكارثية<sup>(١)</sup> والقوائم الهوليدوية السوداء، ويقدر ما كانت تلك الأشياء مقبولة، فلم يكن هناك ذلك الإحساس الباطن بالترويع الفكري الموجود الآن تحت مظلة الصواب السياسي".

ربما كان الخوف. أو الرغبة في تجنّب المواجهة، هو ما دفعني إلى الاحتفاظ بأرائي لنفسى. يمكنك أن تقول إنى كنت أختبئ "في الخزانة". كثير من زملائي في العمل كانوا متحمسين لرؤية التغيير الذي يتمنونه يحدث في المجتمع. أعلم أنهم عملوا بمتابرة داخل المكتب وخارجه من أجل الترويج لقضايا اعتبروها صحيحة وعادلة. هذا التكريس الصادق ميّز حياتهم المهنية. كنت أخاف، إذا تجرأت وتحدثت. أن أواجه بالوصم وأحظى بعلاقات عمل متكلفة ومصطنعة. ربما قد يتوقفون عن تحويل المرضى إليّ. من يدري ما كان من الممكن أن يحدث؟ لذا فقد اخترت البقاء بعيداً عن دائرة الجدل. عندما كانت تصلني رسائل بريدية أو تعليقات تثير القلق. كنت أتجاهلها.

(١) حقبة في التاريخ الأمريكي أصدر فيها ماكارثي قوانين طوارئ ضد الشيوعية تسمح بملاحقة المخالفين دون سند قانوني واتهامهم بتهم فضفاضة لا تحتاج إلى إثباتات.